منهج النبي عليه الصلاة والسلام في التعامل مع زوج البنت

محمد إبراهيم الشربيني صقر
أستاذ الدعوة الإسلامية بجامعة السلطان أحمد شاه الإسلامية ببهانج ماليزيا
الإيميل: meesakr67@gmail.com

ملخص البحث

تعد الأسرة اللبنة الأساسية في بناء المجتمع الإسلامي ، لذلك اهتم الإسلام بتأسيس الأسرة المسلمة القوية ، ووضع لها القواعد التي تحميها وتحافظ عليها ، وكانت سيرة النبي ﷺ مثالاً حياً للمحافظة على الأسرة المسلمة ؛ فنجده ﷺ مهتماً بأولاده وزوجاته وما يتعلق بهم من نسب ؛ لذلك نجدهﷺ يضرب المثل الأعلى في العلاقة مع أقارب الزوجة ومع أزواج بناته ، حتى صارت سيرته ﷺ في التعامل مع أقاربه مرجعاً أساسياً لكل البشر الذين يبحثون عن الاستقرار الأسري ، وينشدون السعادة الأسرية

لذا كانت تلك الدراسة عن توضيح منهج النبي ﷺ في التعامل مع أزواج بناته ، والهدف من تلك الدراسة الاقتداء بالنبي ﷺ في كيفية التعامل مع زوج البنت ؛ فقد اهتم النبي ﷺ بأزواج بناته ؛ فأحسن إليهم وراعى جانبهم ؛ وذلك لسعادة بناته ؛ وتقوية الصلة بين الأسرتين ؛ وهذا واضح في معاملته – صلى الله عليه وسلم – لعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وأبي العاص بن الربيع ــ رضي الله عنهم – أجمعين .

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين والمرسلين محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين . وبعد ،

أهمية الدراسة

الأسرة كيان اجتماعي يقوم على ارتباط رجل وامرأة برباط شرعي معلن ، تترتب عليه حقوق وواجبات على كل منهما للآخر .

وهذا الرباط هو الزواج الذي شرعته الديانات السماوية كلها ، وباركته ، واعتبرته السبيل الوحيد لتكوين الأسرة المشروعة. وهو يسير مع سنة الله العامة في هذا الكون سنة الازدواج في كل شئ ؛ قال تعالى :

(وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (سورة الذاريات الآية :49)

هذه الزوجية أو هذا الازدواج في الكون : أن يلتقي الشئ ومقابلة ،كأن يلتقي الذكر والأنثى ويلتقي الموجب والسالب في الكهرباء ، وغيرها حتى (الذرة) هي قاعدة البناء الكوني كله ، تتكون من إلكترون وبروتون ونواة ، والإلكترون : شحنة كهربية موجبة ، والبروتون مقابل له : شحنة كهربية سالبة.

ولهذا باركت الكتب السماوية كلها : زواج الرجل بالمرأة ، لأنه يسير مع الفطرة السوية ، مع قاعدة الزوجية المبثوثة في الكون كله فكل ما في هذا الكون أزواج ، ولها واحد إلا الله جل شأنه. (سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ) (سورة يس الآية :36)

ولهذا جاء في سفر التكوين من أسفار التوراة:

(إن الرجل يترك أباه وأمه ويلتصق بزوجته ، فيصير الاثنان جسداً واحداً) (سفر التكوين : 1- 24)

وأكد ذلك المسيح عليه السلام لتلاميذه أيضاً (إنجيل متى : 19 / 4- 6)

والأسرة الصالحة :هي التي تقوم على (الزواج المستقر) الذي يثمر التآلف والمودة ، وهو هدف من أهداف الحياة الإسلامية الطيبة ، وهو عنصر أساسي لاستقرار حياة الأفرادوالأسر والجماعات.

ولهذا حرص الإسلام عليه ، ووضع له من الأسس الفكرية والأخلاقية والتشريعية ما يكفل إقامة بنائه واستمرار عطائه ، وحراسته من عوامل التفكك والانهيار .

وأول ما يصنعه الإسلام هنا : أن يعرف المسلم حقيقة الزواج الذي شرعه الإسلام وأهدافه الكبرى ، حتى يقدم عليه على بصيرة من أمره ولا يتصوره تصوراً مغلوطاً ، فيترتب على هذا التصور سلوكيات مغلوطة أيضاً.

يجب أن يعي المسلم الذي يريد الزواج : أنه ليس مجرد ارتباط جسد بجسد بل ارتباط إنسان بإنسان. والإنسان عقل وضمير ووجدان وروح ، أكثر من كونه جسداً مادياً يتكون من الأجهزة والخلايا والأعصاب.

وليس معنى هذا : أن المتعة الجسدية وإشباع الغريزة بمعزل عن أهداف الزواج الشرعي ،كلها بل هي هدف أساسي من الأهداف لحاجة كلا الزوجين جنسياً إلى الآخر بحكم الفطرة وليستمتعا معاً بالحلال الطيب (هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ) (سورة البقرة الآية: 178)

وليتدرب الإنسان المؤمن على صرف شهوته فيما يحل له ويحصن نفسه مما يحرم عليه وبذلك تنضبط الغرائز ويكبح جماح الشهوات.

وفى هذا خاطب نبى الإسلام الشباب فقال (ﷺ) :

" يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ- الزواج- فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ- الحماية –" (البخاري ، 1987م ،كتاب النكاح،باب قول النبي ﷺ : من استطاع منكم الباءة فليتزوج،برقم 4778)

ولكن المؤمن يريد من الزواج ما هو أكثر من هذا وهو إنشاء بيت مؤمن وتكوين أسرة صالحة تكون مع غيرها نواه للمجتمع الصالح وهذا البيت المؤمن يقوم على أركان ثلاثة هي :

السكن والمودة والرحمة. التي ذكرها القرآن الكريم وجعلها من آيات الله ، وهى التي تظلل الحياة الزوجية المؤمنة . قال الله تعالى :

(وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (سورة الروم الآية :21)

وليس الزواج في الإسلام مجرد رباط بين رجل وامرأة بل هو رباط بين أسرتين بالمصاهرة ، تلك الرابطة التي جعلها القرآن قريناً لرابطة الدم (القرضاوي ، 2005 م ، ص9-12) فقال تعالى :(وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا) (سورة الفرقان الآية : 54)

ومن هذه المصاهرة العلاقة بين الحمو وزوج البنت ، هذه العلاقة تحتاج إلى التأسي بنبينا ﷺ في علاقته مع أزواج بناته ، فهو ﷺ القدوة الحسنة في كل أمور حياتنا . لذا كانت هذه الدراسة عن منهج النبي ﷺ في علاقته بأزواج بناته .

أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى عدة أهداف منها :

بيان أهمية الأسرة المسلمة في الإسلام .

الاقتداء بالنبي ﷺ في معاملته مع زوج ابنته.

بيان حرص الإسلام على تقوية الروابط الأسرية .

أسئلة الدراسة

تحتوي هذه الدراسة على عدة أسئلة رئيسة منها :

ما أهمية الأسرة المسلمة في الإسلام .

كيف عامل النبي ﷺ أزواج بناته ؟

كيف حرص الإسلام على تقوية الروابط الأسرية ؟

منهج الدراسة

سلك الباحث في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي والتاريخي ، وذلك بتتبع أحوال النبي ﷺ ومعاملته مع أزواج بناته ، مع تحليل تلك المواقف والاستفادة منها في الحياة .

خطة الدراسة

تحتوي خطة الدراسة في هذا الموضوع على : مقدمة وثلاثة مباحث ، وخاتمة تشتمل على أهم النتائج مع فهرس للمصادر والمراجع . فالمبحث الأول بعنوان:تعامل النبي – صلى الله عليه وسلم – مع عثمان بن عفان(رضى الله عنه)، و تعامل النبي ﷺ مع أبي العاص بن الربيع (رضى الله عنه) ، تعامل النبي ﷺ مع على بن أبى طالب– رضى الله عنه–

الله أسأل أن يتقبل هذا العمل ، وأن يجعله في ميزان الحسنات يوم القيامة .

المبحث الأول :تعامل النبي – صلى الله عليه وسلم – مع عثمان بن عفان(رضى الله عنه)

قبل الحديث عن تعامل النبي ﷺ مع عثمان بن عفان ﷺ ، أود أن أشير إلى أن النبيﷺ تزوج ـ بخديجة ـ رضي الله عنها ـ بمكة وهو ابن خمس وعشرين سنة أي قبل بعثته بخمسة عشر عامًا، وبقيت مع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى أن أكرمه الله برسالته، فآمنت به ونصرته، وماتت قبل الهجرة بثلاث سنين، ولأم المؤمنين خديجة ـ رضي الله عنها ـ خصائص كثيرة اختصت بها ، منها : أن أبناء النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كلهم منها إلا إبراهيم ـ عليه السلام ـ، وهم القاسم وعبد الله وزينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة ـ رضي الله عنهم ـ .

وشاء الله أن يموت الولدان، واحدًا بعد الآخر، ولم يعيشا طويلاً أما البنات فقد تزوجن جميعًا من خيرة الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ، وقد توفيت ثلاث منهن في حياة النبي ـ صلى الله عليه و سلم ـ، ولحقت الرابعة به بعد وفاته بستة أشهر .

وفي السطور التالية أتحدث عن عثمان بن عفان ﷺ زوج رقية وأم كلثوم ابنتا رسول الله ﷺ ، وكيف كان تعامل النبي ﷺ معه .

أولاً: اسمه ونسبه

هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب ، ويلتقي نسبه بنسب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في عبد مناف. وأمه أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي. وأمها أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب، وهي شقيقة عبد الله والد النبي – صلى الله عليه وسلم –، ويقال: إنهما ولدا توأما (حكاه الزبير بن بكار)، فكان ابن بنت عمة النبي – صلى الله عليه وسلم –، وكان النبي – صلى الله عليه

وسلم – ابن خال والدته. وقد أسلمت أم عثمان وماتت في خلافة ابنها عثمان وكان ممن حملها إلى قبرها، وأما أبوه فهلك في الجاهلية.(الصلابي ، 2009م ، ص: 13)

ثانياً: فضائله ﷺ

وردت عدة أحاديث في فضائل عثمان بن عفان ﷺ ، من هذه الأحاديث :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ رَفِيقٌ فِي الْجَنَّةِ، وَرَفِيقِي فِيهَا عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»(ابن حنبل ،1421 هـ – 2000 م– ص: 90)

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ أُمَّ كُلثُومٍ جَاءَتْ إِلَى رَسُولِ الله – صلى الله عليه وسلم – فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ الله: زَوْجُ فَاطِمَةَ خَيْرٌ مِنْ زَوْجِى، فَأَسْكَتَ رَسُولُ الله – صلى الله عليه وسلم – مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ: زَوْجُكِ يُحِبُّهُ الله وَرَسُولُهُ، وَيُحِبُّ الله وَرَسُولَهُ، فَأَرَيْتُكِ لَوْ دَخَلتِ الجَنَّة فَرَأَيْتِ مَنْزِلَهُ لَمْ تَرَىْ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ يَعْلُوهُ فِى مَنْزِلِهِ".(الهيثمى في مجمع الزوائد في كتاب (المناقب) باب: جامع في فضل عثمان وبشارته بالجنة، ج 9 ص 88 – قال الهيثمى: رواه الطبرانى في الأوسط، ورجاله وثقوا وفيهم خلاف.)

هاجر عثمانﷺ إلى أرض الحبشة فارًّا بدينه مع زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ فكان أول مهاجر إليها، ثم تابعه سائر المهاجرين إلى أرض الحبشة، ثم هاجر الهجرة الثانية إلى المدينة.

عن أنس قال: أول من هاجر إلى أرض الحبشة عثمان، وخرج بابنة رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فأبطأ على رسول الله –صلى الله عليه وسلم– خبرهما فجعل يتوكف الخبر، فقدمت امرأة من قريش من أرض الحبشة فسألها فقالت: رأيتها، فقال: "على أي حال رأيتها؟ " قالت: رأيتها وقد حملها على حمار من هذه الدواب وهو يسوقها، فقال النبي –صلى الله عليه وسلم: "صحبهما الله إن كان عثمان لأول من هاجر إلى الله –عز وجل– بعد لوط" (الطبري، ج3، ص: 5)

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ، قَالَ: " جَاءَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَلْفِ دِينَارٍ فِي مُؤْتَةَ حِينَ جَهَّزَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ، قَالَ: فَصَبَّهَا فِي حِجْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: فَجَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَلِّبُهَا وَهُوَ يَقُولُ: «مَا ضَرَّ ابْنَ عَفَّانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ الْيَوْمِ» يُرَدِّدُ ذَلِكَ مِرَارًا" (ابن حنبل ،1421 هـ – 2000 م– ص: 80)

ثالثاً: زواج عثمان ﷺ وتعامل النبي ﷺ معه

عثمان بن عفان (رضى الله عنه) ذو النورين ؛ أطلق عليه هذا اللقب كما هو معروف ؛ لأنه حظي بزواج اثنين من بنات الرسول (ﷺ) تزوج أولاً بالسيدة رقية (رضى الله عنها) فلما ماتت زوجه النبى (ﷺ) أختها أم كلثوم (رضى الله عنها) وعندما ماتت هي الأخرى قال النبي (ﷺ) : " لو كان لنا ثالثة لزوجناك " (الأندلسي ، 1405 هـ. ص161)

عن ابن عباس قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم:

"إن الله أوحي إليَّ أن أزوج كريمتي عثمان بن عفان" (الهيثمي في مجمع الزوائد، ج 9 ص 83 وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الصغير والأوسط وفيه عمير بن عمران الحنفي وهو ضعيف بهذا الحديث وغيره.)

أما قصة زواجه من السيدة رقية أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كان قد زوجها من عتبة بن أبي لهب، وزوج أختها أم كلثوم عتيبة بن أبي لهب، فلما نزلت سورة المسد {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ – مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ – سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ – وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ – فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ} [المسد: 1– 5]. قال لهما أبو لهب وأمهما أم جميل بنت حرب بن أمية {حَمَّالَةَ الْحَطَبِ} فارقا ابنتي محمد، ففارقاهما قبل أن يدخلا بهما كرامة من الله تعالى لهما، وهوانًا لابني أبي لهب(2), وما كاد عثمان بن عفان – رضي الله عنه – يسمع بخبر طلاق رقية ، وبادر فخطبها من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فزوجها الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم – منه، وزفتها أم المؤمنين خديجة بنت خويلد (الصلابي ، 2009م ، ص:19)

قال عثمان لما ماتت امرأته– رقية– بنت رسول الله –صلى الله عليه وسلم: بكيت بكاءً شديدًا فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم: ما يبكيك؟ قلت: أبكي على انقطاع صهري منك، قال: "فهذا جبريل يأمرني بأمر الله –عز وجل– أن أزوجك أختها.(الطبري، ج3، ص: 5)

وتروي أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق –رضي الله عنها– خبر زواج أم كلثوم من عثمان – رضي الله عنه – فتقول: لما زوج النبي ابنته أم كلثوم قال لأم أيمن: «هيئ ابنتي أم كلثوم وزفيها إلى عثمان، ففعلت ذلك، فجاءها النبي – صلى الله عليه وسلم – بعد الثالثة فدخل عليها فقال: يا بنية، كيف وجدت بعلك»؟ قالت: خير بعل.(الصلابي ، 2009م ، ص:19)

وهذا يدل على محبة النبى (ﷺ) له ويدل في الوقت ذاته على حسن معاشرته وكرم معدنة وطيب أخلاقه.

لهذا أحبه النبى (ﷺ) وأكرمه وأسبغ عليه كثيراً من الفضائل والمحامد والمناقب التي تضمنتها أحاديث كثيرة للنبي (ﷺ) ولم لا ؟ وهو واحد من العشرة المبشرين بالجنة ، وثالث الخلفاء الراشدين وسيرته وجهاده وإنفاقه في سبيل الله لا يخفى على أحد العلم به، وهذا نموذج يوضح لنا تقدير النبى (ﷺ) لسيدنا عثمان (رضى الله عنه) وتكريمه له.

" فعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُضْطَجِعًا فِي بَيْتِهِ كَاشِفًا عَنْ فَخِذَيْهِ – أَوْ سَاقَيْهِ – فَاسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ فَأَذِنَ لَهُ وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ فَتَحَدَّثَ ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ فَأَذِنَ لَهُ وَهُوَ كَذَلِكَ فَتَحَدَّثَ ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُثْمَانُ فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَوَّى ثِيَابَهُ فَلَمَّا خَرَجَ قَالَتْ عَائِشَةُ:

أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ ثُمَّ دَخَلَ عُثْمَان فَجَلَست وسوَّيت ثِيَابك فَقَالَ: «أَلا أستحي من رجل تَسْتَحي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ؟»

وَفِي رِوَايَةٍ قَالَ: «إِنَّ عُثْمَانَ رَجُلٌ حَيِيٌّ وَإِنِّي خَشِيتُ إِنْ أَذِنْتُ لَهُ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ أَنْ لَا يَبْلُغَ إِلَيَّ فِي حَاجته» (مسلم ، 1955م ، كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل عثمان بن عفان رضي الله عنه- برقم2401)

المبحث الثاني : تعامل النبي ﷺ مع أبي العاص بن الربيع (رضى الله عنه)

في هذا المبحث نتعرض فيه لبيان تعامل النبي ﷺ مع زوج ابنته زينب ؛ وهو أبو العاص بن الربيع ، وقبل ذلك نورد ترجمة مختصرة لاسمه ونسبه .

أولاً: اسمه ونسبه

هو : أبوالعاص بن الربيع بن عبد العزّى بن عبد شمس بن عبد مناف العبشمي. أمه هالة بنت خويلد، وكان يلقب جرو البطحاء.

كان يقال له الأمين. وكان قبل البعثة مواخيا لرسول الله صلى الله عليه وسلّم، وكان يكثر غشاءه في منزله، وزوّجه ابنته زينب أكبر بناته، وهي من خالته خديجة، ثم لم يتّفق أنه أسلم إلا بعد الهجرة.

وكان من رجال مكة المعدودين مالا وأمانة وتجارة.(ابن حجر ،1412 ، ج7، ص: 206)

ثانياً: زواج أبي العاص ومعاملة النبي ﷺ معه

هذا هو أبو العاصى بن الربيع زوج السيدة زينب بنت رسول الله (ﷺ) يقف موقفاً كريماً حينما يتصدى بكل قوة للضغوط التى مارستها عليه قريش ليطلق زوجته ويفعل كما فعل ابنا أبى لهب حينما طلقا ابنتى رسول الله (ﷺ) وساوموه فى ذلك أكثر من مرة عارضين عليه الزواج بأى امرأة يريدها ولكن يرفض بكل قوة قائلاً :

" لا والله لاأفارق صاحبتي وما أحب أن لي بها امرأة من قريش " (الكلاعي ، 1417هـ. ج2، ص36)

ويحفظ له النبى (ﷺ) هذا الموقف الكريم وتمر الأيام ويقع أبو العاص بن الربيع أسيراً فى أيدى المسلمين فى غزوة بدر فتبعث زوجته فى فدائه بمال ضمنته قلادة كانت أمها السيدة خديجة (رضى الله عنها) وهبتها لها عند زواجها فلما رآها رسول الله (ﷺ) رق قلبه رقه شديدة لذكرى الزوجة الحنون لوفاء ابنته لزوجها صاحب الموقف الكريم

وكان يمكن له (ﷺ) أن يصدر قراراً بالعفو التلقائى عن زوج ابنته ولكن (ﷺ) رغم وفائه لذكرى زوجته الغالية ورغم حبه لابنته العزيزة ورغم تقديره لزوج ابنته- صاحب الموقف الكريم – رغم هذا كله يريد أن يربى أولاده وأن يعطى الاسوة الحسنة

والمثل الاعلى للدنيا كلها فلا يستخدم حقه فى العفو عن زوج ابنته أبى العاص وإطلاق سراحه دون فداء بمال –كما فعل مع بعض الاسرى.

ولكن يعرض الامر على أصحابه ويفوضهم فى إصدار القرار قائلاً :

" إِنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تُطْلِقُوا لَهَا أَسِيرَهَا وَتَرُدُّوا إِلَيْهَا مَتَاعَهَا فَعَلْتُمْ " ، قَالُوا نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَطْلَقُوا أَبَا الْعَاصِ بْنَ الرَّبِيعِ وَرُدُّوا عَلَى زَيْنَبَ قِلاَدَتَهَا وَأَخَذَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَبِي الْعَاصِ أَنْ يُخَلِّيَ سَبِيلَهَا إِلَيْهِ فَوَعَدَهُ ذَلِكَ فَفَعَلَ. " (ابن سعد ، 1968 م . ج8 ،ص: 31)

وكان أبو العاص وفياً كريماً فأوفى بعهده .

ثم دارت الأيام دورتها ووقع أبو العاص مرة أخرى أسيراً فى يد سرية للمسلمين أصابوا ما معه من أموال كان عائداً بها من رحلة تجارية فى الشام ولكن استطاع الافلات منهم وكمن فى مخبأ حتى أرخى الليل سدوله فدخل المدينة قاصداً بيت زوجته (رضى الله عنها) مستجيراً بها فلم تتردد فى إجارته وحمايته وفوجئ المصطفى (ﷺ) حين كبر لصلاة الصبح ، زينب تقول من المكان المخصص للنساء :

أيها الناس إنى قد أجرت أبا العاص بن الربيع فلما انصرف (ﷺ) من صلاته أقبل على الناس قائلاً : أيها الناس هل سمعتم ما سمعت ؟! قالوا : نعم قال : أما والذي نفسى بيده ما علمت بشئ حتى سمعت من ما سمعتم إنه يجير على المسلمين أدناهم.

وانصرف النبى (ﷺ) قاصداً بيت زينب (رضى الله عنها) ولا شك إنه وهو في الطريق قد تنازعته احساسات شتى ، بشأن ابنته المسلمة التي يكن لها كل حب وحنان وبشأن زوجها المشرك الذي فرق الإسلام بينها وبينه ولكنها مع ذلك لم تجد بأساً فى أن تجيره .

وهكذا دخل رسول الله (ﷺ) على ابنته فقال لها مؤكداً حكم الله تعالى في زوجها :

أى بنية أكرمى مثواه ولكن لا يخلص إليك فإنك لا تحلين له.

وبعث رسول الله إلى رجال السرية الذين غنموا أموال أبى العاص يعرض عليهم ما يظنه خيراً دون أن يلزمهم بأمر أو ينازعهم فى حق قائلاً :

إن هذا الرجل منا حيث قد علمتم وقد أصبتم به مالاً فإن تحسنوا تردوا عليه الذى له فإنا نحب ذلك وإن أبيتم فهو فيئ الله الذي فاءه عليكم فأنتم أحق به !!

ولقد كان لهذا للأسلوب الكريم أثره الطيب في كل ناحية لم يتردد رجال السرية في رد ما أخذوه عن طيب نفس منهم .....

وأيقن أبو العاص من موقف النبي (ﷺ) منه أن الإسلام هو بحق الدين المبعوث بمكارم الأخلاق وأن محمداً هو الصادق فيما

يدعو إليه ، الأمين فيما يبلغ عن ربه فعاد إلى قومه ورد إليهم أموالهم وأعلن إسلامه ولحق برسول الله (ﷺ) بالمدينة . (يوسف ، 1979م . ص 219 ، 220)

تأمل معي – أيها القاريء الكريم- هذه المواقف النبوية الجليلة:

إن فيها من المعاني والدلالات ما نحتاج إلى مجلدات ضخام لبيانه وتوضيحه ويكفى في مقام الحديث عن الاسوة الحسنة في تعامل النبي (ﷺ) مع زوج ابنته. ما تؤكده هذه المواقف من تكريم النبى (ﷺ) وتقديره لزوج ابنته حتى وهو على شركه وكفره الأمر الذى له أثر عظيم فى اهتداء الرجل أخيراً إلى الصراط المستقيم والطريق القويم فشهد شهادة الحق وأعلن إسلامه بعد أن عاد إلى مكة وأعطى الحقوق لأهلها والاموال لأصحابها.

فرضى الله عنك أبا العاص بن الربيع(ﷺ) وبارك على صهرك محمد سيد المرسلين وخاتم النبين

ويا ليت أتباعه يقتدون بنهجه ويسلكون دربه ليسعدوا ويفوزوا فى الدنيا والاخرة.

المبحث الثالث:تعامل النبي ﷺ مع على بن أبى طالب– رضى الله عنه–

في هذا المبحث نتعرض فيه للحديث عن علي بن أبي طالب ﷺ زوج فاطمة بنت النبيﷺ وكيف تعامل النبي ﷺ معه .

أولاً: اسمه ونسبه:

هو على بن أبى طالب بن عبد المطلب، ويقال له شيبة الحمد بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، فهو ابن عم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ويلتقي معه في جده الأول عبد المطلب بن هاشم، وولده أبو طالب شقيق عبد الله والد النبي – صلى الله عليه وسلم –، وكان اسم عليٍّ عند مولوده أسد، سمته بذلك أمه رضي الله عنها باسم أبيها أسد بن هاشم(ابن سعد ، 1968 م، ج1، ص: 26)

ثانياً: فضائله ﷺ

وردت عدة أحاديث عن فضل سيدنا علي بن أبي طالب ﷺ من هذه الأحاديث ، ما يلي :

حديث سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، أَن رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم خَرجَ إِلَى تَبُوكَ، وَاسْتَخْلَفَ عَلِيًّا فَقَالَ: أَتخَلفُنِي فِي الصِّبْيَانِ وَالنِّسَاءِ قَالَ: أَلاَ تَرْضى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هارونَ مِنْ موسى إِلاَّ أَنَّهُ لَيْسَ نَبِيٌّ بَعْدِي (أخرجه البخاري في: 64 كتاب المغازي: 78 باب غزوة تبوك وهي غزوة العسرة، أخرجه مسلم في فضائل الصحابة باب من فضائل علي رضي الله عنه رقم 2404.)

حديث سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه، سَمِعَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ، يَوْمَ خَيْبَرَ: لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ رَجُلاً يَفتَحُ اللهُ عَلَى يَديْهِ فَقَامُوا يَرْجُونَ لِذلِكَ، أَيُّهُمْ يُعْطَى فَغَدَوْا وَكُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطِي فَقَالَ: أَيْنَ عَلِيٌّ فَقِيلَ: يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ فَأَمَرَ، فَدُعِي لَهُ، فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ، فَبَرَأَ مَكَانَهُ حَتَّى كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بِهِ شَيْءٌ فَقَالَ: نقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا فَقَالَ: عَلَى رِسْلِكَ، حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ، فَوَاللهِ لأَنْ يُهْدَى بِكَ رَجُلٌ وَاحِدٌ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ.(أخرجه البخاري في: 56 كتاب الجهاد: 102 باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام والنبوة)

ثالثاً: زواجه ﷺ من فاطمة وتعامل النبي ﷺ معه

قال على بن أبى طالب رضي الله عنه: خُطبت فاطمة إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقالت مولاة لي: هل علمت أن فاطمة قد خطبت إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم –؟ قلت: لا، قالت: فقد خطبت، فما يمنعك أن تأتي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فيزوجك. فقلت: وعندي شيء أتزوج به؟ فقالت: إنك إن جئت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – زوجك. قال: فوالله ما زالت ترجيني حتى دخلت على رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، فلما أن قعدت بين يديه أفحمت، فوالله ما استطعت أن أتكلم جلالة وهيبة. فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «ما جاء بك؟ ألك حاجة؟» فسكت فقال: لعلك جئت تخطب فاطمة؟ فقلت: نعم، فقال: وهل عندك من شيء تستحلها؟ فقلت: لا والله يا رسول الله، فقال: ما فعلت درع سلحتكها؟فوالذي نفس على بيده إنها لحطمية ما قيمتها أربعمائة درهم، فقلت: عندي، فقال: قد زوجتكها، فابعث إليها بها فاستحلها بها، فإنها كانت لصداق فاطمة بنت رسول الله – صلى الله عليه وسلم –

(البيهقي، 1405 هـ،ج 3 ، ص: 160)

في هذه السطور نتعرض لمعاملة النبي ﷺ مع زوج ابنته ؛ السيدة فاطمة(رضى الله عنها) ونسلط الضوء في هذا المقام على تعامل النبى (ﷺ) مع مشكلة وقعت بين فاطمة (رضى الله عنها) وزوجها على بن أبى طالب ليقتدى الناس برسولهم (ﷺ) فتعمر البيوت ويسعد الناس بدلاً من المشكلات التى تقضى على المودة والرحمة وتجعل الزوجين يقفان أمام بعضهما فى ساحات القضاء خصمين عنيدين بدلاً من أن يكونا فى بيتهما زوجين سعيدين .

" فعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ اسْتُعْمِلَ عَلَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ مِنْ آلِ مَرْوَانَ – قَالَ – فَدَعَا سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ فَأَمَرَهُ أَنْ يَشْتِمَ عَلِيًّا – قَالَ – فَأَبَى سَهْلٌ فَقَالَ لَهُ أَمَّا إِذْ أَبَيْتَ فَقُلْ لَعَنَ اللَّهُ أَبَا التُّرَابِ. فَقَالَ سَهْلٌ مَا كَانَ لِعَلِيٍّ اسْمٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَبِى التُّرَابِ وَإِنْ كَانَ لَيَفْرَحُ إِذَا دُعِىَ بِهَا.

فَقَالَ لَهُ أَخْبِرْنَا عَنْ قِصَّتِهِ لِمَ سُمِّىَ أَبَا تُرَابٍ قَالَ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– بَيْتَ فَاطِمَةَ فَلَمْ يَجِدْ عَلِيًّا فِى الْبَيْتِ فَقَالَ « أَيْنَ ابْنُ عَمِّكِ »؟

فَقَالَتْ كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ شَىْءٌ فَغَاضَبَنِي فَخَرَجَ فَلَمْ يَقِلْ عِنْدِى فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– لإِنْسَانٍ: « انْظُرْ أَيْنَ هُوَ ». فَجَاءَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هُوَ فِى الْمَسْجِدِ رَاقِدٌ. فَجَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– وَهُوَ مُضْطَجِعٌ قَدْ سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ شِقِّهِ فَأَصَابَهُ تُرَابٌ فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– يَمْسَحُهُ عَنْهُ وَيَقُولُ : « قُمْ أَبَا التُّرَابِ قُمْ أَبَا التُّرَابِ » (مسلم ، 1955م ، صحيح مسلم ،كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل على بن أبى طالب ، برقم : 2409)

فانظر إلى أدب النبوة الرفيع إن فاطمة حينما سألها أبوها عن زوجها لم تزد على أن قالت :كان بينى وبينه شئ فغاضبنى فخرج فلم يقل عندى إنها لم تفعل كما تفعل بنات اليوم حينما لا تكاد الواحدة منهن ترى أباها أو أمها إلا وتأخذ فى سرد ماكان بينها وبين زوجها مما يكون بعضه صحيحاً وأغلبه لا يخلو من مبالغات وتضخيم لأشياء تافهة لا تستحق الذكر ولا تستأهل الاهتمام.

بل إن بعض الروايات تذكر أن رسول (ﷺ) هو الذى لاحظ تغيراً فى وجه ابنته فلما سألها قالت : ماكنت لأفشى سر زوجى على ولوكام ذلك لأبى النبى ..

فيا للعظمة ويا للروعة. ثم ننظر إلى سؤال النبى (ﷺ) عن زوج ابنته بل إلى اجتهاده فى البحث عنه وتكليفه إنسان بمحاولة العثور عليه كل هذا بهدف استرضائه وإنهاء الخصومة الطارئة بينه وبين زوجته .... وليس كما يفعل بعض الآباء و الامهات حينما يكتفيان بسماع شكاية ابنتهما ثم يأخذان فى سب ولعن زوج البنت بأخذع السباب وأشنع الشتائم دونما انتظار لسماع قوله ودفاعه وربما تكون ابنتهما هى الظالمة المعتدية ولكنهما يندفعان للحكم عليه بناء على دموع ابنتهما التى تكون دموع التماسيح.

والأجمل والأروع أن يذهب النبي (ﷺ) بنفسه إلى زوج ابنته النائم في المسجد ليوقظه ويمسح التراب عن ظهره ويمازحه هذا المزاح اللطيف ويداعبه هذه المداعبة الطريفة فيناديه بهذه الكنيه (أبا التراب) التي ظل على بن أبى طالب (رضى الله عنه) كما يقول سهل بن سعد في الحديث – أحب أسمائه إلى قلبه , وتذكر الروايات أن الرسول الله (ﷺ) أخذ بيد على (رضى الله عنه) – وعاد به إلى البيت وتعمد أن يتأخر قليلاً ليدخل زوج ابنته أولاً ليلقى السلام على زوجته فترد عليه السلام بدورها فينتهي الإشكال وتنتهي الخصومة دون أن يعلم النبي (ﷺ) من أسبابها شيئاً .... وقدكان ذلك بحمد الله ... فما أشد احتياج المسلمين الإقتداء بهدى بنيهم سيد المرسلين (الشريف ، 1992م ، ص 67- 68)

وهكذا يضرب النبي (ﷺ) المثل الأعلى لآباء الزوجات أن يتعاملن بحكمة مع زوج البنت وهكذاكان رسول (ﷺ).وأحب أن أشير هنا إلى بعض المواقف الاخرى من رسول الله (ﷺ) تجاه على بن أبى طالب وابنته فاطمة.

فقد علم (ﷺ) أن فى بيت على خلاف بينه وبين زوجته فيدخل عليهما النبى (ﷺ) ويحس بهذا الخلاف فيلقى النبى (ﷺ) إليهما وسادة فيجلس على جانب وفاطمة من الجانب الآخر شعر ما بينهما فأخذ بيد على ووضعها على سرته ومازال حتى أصلح ما بينهما.

خرج وهو مسرور ... فرح. قيل له : دخلت على حال وخرجت والبشر فى وجهك ؟ قال :وما يمنعنى وقد أصلحت بين أحب اثنين إلىّ

ويوماً دخل رسول الله (ﷺ)على علىّ وفاطمة وهما يضحكان فلما رأيا النبى (ﷺ)سكتا فقال لهما النبى (ﷺ): مالكما كنتما تضحكان فلما رأيتمانى سكتما ؟

فبادرت فاطمة فقالت بأبى أنت يا رسول الله قال أى على بن أبى طالب , أنا أحب إلى رسول الله منك فقلت : بل أنا أى فاطمة أحب إلى رسول الله منك فتبسم رسول الله (ﷺ)وقال :

يا بنيه لك رفه الولد .... وعلى أعز علىّ منك . (أخرجه الطبرانى (66/11 ، رقم 11063) قال الهيثمى (202/9) : رجاله رجال الصحيح .) وهكذا البيوت جميعها تعيش لحظات كثيرة من الضحك والسعادة وأخرى فيها ما يعكر صفو الحياة الزوجية. (الشريف ، 1992م ، ص 67- 68)

خاتمة

الحمد لله رب العالمين الذى بنعمته تتم الصالحات ،وصلى اللهم على سيدنا محمد ﷺ خير خلق الله ، خاتم النبيين والمرسلين ، ورضى الله عن الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد ،

قد انتهيت – بتوفيق الله تعالى – من دراسة هذا البحث والذى كان بعنوان (منهج النبي ﷺ في التعامل مع زوج البنت) وقد خرجت من هذه الدراسة بنتائج وتوصيات ؛ أهمها :

أولاً: النتائج :

1- إن السيرة النبوية نبراساً يهتدي به المسلمون في جميع مجالات حياتهم ؛لأنهم يقتدون بأفضل الخلق النبي محمد – صلى الله عليه وسلم -.

2- إن الأسرة هي اللَّبنة الأساسية في بناء المجتمع ولقد اهتم ببنائها النبي – صلى الله عليه وسلم – وقوى دعاءمها ، وحث على حمايتها ورعايتها .

3-الزواج المستقر الذي يثمر التآلف والمودة ، وهو هدف من أهداف الحياة الإسلامية الطيبة ، وهو عنصر أساسي لاستقرار حياة الأفرادوالأسر والجماعات

4- اهتم النبي ﷺ بأزواج بناته ؛ فأحسن إليهم وراعى جانبهم ؛ وذلك لسعادة بناته ؛ وتقوية الصلة بين الأسرتين ؛ وهذا واضح في معاملته – صلى الله عليه وسلم – إلى عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وأبي العاص بن الربيع ــ رضي الله عنهم – أجمعين .

ثانياً : التوصيات :

1- ضرورة اهتمام الآباء ببناتهم وأبنائهم وخاصة أقارب أزواجهم ؛ لأن ذلك مما يقوي صلة الرحم بينهم , ويجعلهم سعداء في بيوتهم .

2- ضرورة اهتمام الآباء بمشاكل أولادهم والبحث عن حلول لها وذلك عن طريق النظر في سيرة المصطفى – صلى الله عليه وسلم –

3- إقامة دورات تثقيفية وتدريبية عن التعامل مع الأزواج في ظلال السيرة النبوية ، وكذلك دورات عن كيفية حل المشاكل الأسرية التي انتشرت في المجتمع .

والحمد لله أولاً وآخراً ... وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم

الكتاب المقدس (العهد القديم – العهد الجديد)

ابن حبان ،1993م. صحيح ابن حبان . تحقيق شعيب الأرنؤوط.ط2 . بيروت : مؤسسة الرسالة.

الأندلسي ، محمد بن يحيى . 1405 هـ . التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان . تحقيق محمود يوسف زايد . قطر : دار الثقافة .

ابن حجر ،1412 أحمد بن علي . الإصابة في تمييز الصحابة . تحقيق : علي محمد البجاوي .ط1. بيروت : دار الجيل .

ابن حنبل ، أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (المتوفى: 290هـ). 1421 هـ - 2000 م. فضائل عثمان بن عفان رضي الله عنه . تحقيق: أبو مصعب طلعت بن فؤاد الحلواني . ط1 . السعودية : دار ماجد عسيري.

ابن حنبل ، أحمد . 2001 م . مسند أحمد. تحقيق شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد وآخرون.ط1.بيروت : مؤسسة الرسالة.

ابن سعد ، محمد . 1968 م . الطبقات الكبرى . تحقيق إحسان عباس . ط1.بيروت : دار صادر.

أبو شبانه ، ياسر . 1405 هـ . في ذكرى المولد النبوي الشريف . دار التوزيع والنشر الإسلامية .القاهرة .

البخاري ، محمد بن إسماعيل. 1987م. الجامع الصحيح المختصر.ط3. بيروت : دار ابن كثير.

البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر. 1405 هـ. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة. ط1. بيروت : دار الكتب العلمية.

الحلبي، علي بن برهان الدين . 1400 هـ . السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون. بيروت. دار المعرفة.

الشريف ، عبد الخالق . 1992م .فاطمة بنت محمدﷺ . ط2 .القاهرة: دار التوزيع والنشر الاسلامية .

الصلابي ، على. 2009م . عثمان بن عفان شخصيته وعصره. ط2.دمشق : دار ابن كثير

الطبري، أحمد بن عبد الله بن محمد، محب الدين الطبري (المتوفى: 694هـ) . د.ت. الرياض النضرة في مناقب العشرة. بيروت : دار الكتب العلمية.

القرضاوي ، يوسف. 1426 هـ - 2005 م ،الأسرة كما يريدها الإسلام.ط1 . القاهرة : مكتبة وهبة.

الكلاعي ، سليمان بن موسى. 1417هـ. الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء . تحقيق محمد كمال الدين عز الدين علي. ط1. بيروت : عالم الكتب.)

مسلم ، أبو الحسن القشيري النيسابوري. ط1374 هـ - 1955 م. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ .تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة :دار إحياء الكتب العربية.

يوسف ، حسن محمد . 1979م .سيد الدعاة (ﷺ).ط1. القاهرة : دار الإنسان .